

وَقَدْ يُفَرِّقُ بَيْنَ لَفْظِ «الْتَّشِيهِ» وَ«الْتَّمْثِيلِ»<sup>[١]</sup>، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَرَلَةَ وَنَحْوَهُم مِنْ نُفَاهَ الصَّفَاتِ يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً قَدِيمَةً فَهُوَ مُشَبِّهٌ مُمَثَّلٌ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عِلْمًا قَدِيمًا أَوْ قُدْرَةً قَدِيمَةً كَانَ عِنْدَهُمْ مُشَبِّهًا مُمَثَّلًا؛ لِأَنَّ الْقَدِيمَ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ هُوَ أَخْصُّ وَصُفْرِ الْإِلَهِ، فَمَنْ أَثْبَتَ لَهُ صِفَةً قَدِيمَةً فَقَدْ أَثْبَتَ لِلَّهِ مُمَثَّلًا قَدِيمًا، وَيُسَمُّونَهُ مُمَثَّلًا بِهَذَا الْاعْتِبَارِ<sup>[٢]</sup>.

الرَّحْمَةُ: يَقُولُ الْأَشْاعِرَةُ: إِثْبَاتُهَا تَشْبِيهٌ فِي نَفْوِهَا.

وَيَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِثْبَاتُهَا لَيْسَ بِتَشْبِيهٍ فِي نَفْوِهَا.

الحاصل: هو أن الاعتماد في إثبات الصفات على مجردة نفي التشبيه لا يصحُّ لسبعين:

أولاً: إن أريد بالتشبيه المطلق، فهذا غير ممكن ولا أحد يقوله.

ثانياً: وإن أريد به التشبيه من بعض الوجوه، فهذا منازع فيه؛ لأنك قد تقول: هذا تشبيه ويقول غيرك: ليس بتشبيه، والمؤلف الآن يقرب الكلام على الصحيح.

[١] قوله: «قد يُفَرِّقُ» يعني: قد يُفَرِّقُ بين لفظ التشبيه والتمثيل، وأهل السنة والجماعة لا يُفَرِّقون، فإذا قلت: هذه اليد ثابتة لله بدون تشبيه فهو كقولك: هذه اليد ثابتة لله بدون تمثيل، لكن من الناس من يُفَرِّقُ (فقد) هنا باعتبار القلة من الفاعل لا القلة في الوجودية؛ يعني: قد يُفَرِّق بعض الناس.

[٢] وضرب مثلاً لهذا المعترلة ونحوهم من نفاه الصفات، يُقُولُونَ: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ اللَّهِ صِفَةً قَدِيمَةً فَهُوَ مُمَثَّلٌ مُشَبِّهٌ، الْمُرَادُ بِالْقَدِيمَةِ مَا نُسَمِّيهُ نَحْنُ بِالصَّفَاتِ الْذَّاتِيَّةِ الْمَلَزِمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هَذِهِ الصَّفَاتُ الْقَدِيمَةُ - مِثْلُ: الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ - كَثِيرَةٌ،

لكن المؤلّف ضرب مثلاً العِلْم والقُدرة، يُقُولُونَ: من قال: إنَّ اللَّهَ عِلِّيًّا قدِيمًا فهو مُمثّلٌ، والقديمُ عندُهُم ما ليس لهُ أَوَّل، ليس القديمُ عندَهُم ما يُعرَفُ باللغة العربية أنهُ السَّابِقُ لغيره، لا ما ليس لهُ ابتداءً هو القديمُ عندَ الفلاسفة.

إذا قلت: إنَّ اللَّهَ عِلِّيًّا قدِيمًا ليس معنى القديمُ هو السَّابِقُ على غيره، تقولُ مثلاً: عِلْمِي بهذا قديم، معناه في اللغة العربية: أنه سَابِقُ، علمتَ قبلَ هذا، وليس معنى أنه لا ابتداء له وآنَّهُ أَزْلِيٌّ، لكنَّ القديمُ عندَ الفلاسفةِ خاصةً ما لا ابتداء له؛ يعني: أنه أَزْلِيٌّ فيقولُونَ: إذا قلت: إنَّ اللَّهَ عِلِّيًّا قدِيمًا فقد شبَّهْتَ؛ لأنَّ أَخْصَّ وصفِ الإِلَهِ عندُهُم هو الْقِدْمُ، وما معنى أَخْصَّ وصف؟

أَخْصُّ وصفٍ معناه الَّذِي يخْتَصُّ باللهِ، ولا يمكن أن يُوصَفَ به غيرُه هو الْقِدْمُ، فإذا قلت: الله عِلْمٌ قديمٌ، فقد أثبَتَ قدِيمَيْنِ أحدُهُما اللهُ والثَّانِي العِلْمُ، وحيثُنَّ تكونُ مُشَبِّهًا، ولذلك يمنعون جميعَ الصَّفَاتِ القدِيمَةِ الذَّاتِيَّةِ.

لأنَّهُم عندُهُم الوَصْفُ الَّذِي لا يَصِحُّ إِلاَّ اللهُ هو الْقِدْمُ، فلا يمكن أن يُشَابِهَ اللهَ غيرُهُ في ذلك، لو قلت: الله عِلْمٌ قديمٌ، قالوا: أنت مُشَبِّهٌ، لو قلت: الله قُدرةٌ قدِيمَةٌ قالوا: أنت مُشَبِّهٌ، لو قلت: الله حَيَاةٌ قدِيمَةٌ، قالوا: أنت مُشَبِّهٌ، وهكذا، يعني: فِيهِمُوا التشبيهَ على غيرِ معناه.

وإذا أردت بالتشبيهِ الَّذِي نفيته من وجْه دون وجْه فقد يُنَازِعُكَ غيرُكَ من النَّاسِ؛ لأنَّ القديمَ عندَ جهورِهِم هو أَخْصُّ وصفِ الإِلَهِ، ومعنى أَخْصُّ وصفِهِ هو الَّذِي لا يُمْكِنُ أن يَشَرِّكُهُ فيه أحدٌ، فمن أثبَتَ له صِفَةً قدِيمَةً فقد أثبَتَ اللهَ مثلاً قدِيمَيْنِ وَيُسَمُّونَهُ ممثلاً بهذا الاعتبارِ.

وَمُثِبَّةُ الصَّفَاتِ لَا يُوَافِقُونَهُمْ عَلَى هَذَا بَلْ يَقُولُونَ: أَخْصُ وَصْفِهِ مَا لَا يَتَصِفُ بِهِ غَيْرُهُ مِثْلُ كَوْنِهِ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ، وَأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ وَالصَّفَةُ لَا تُوَصِّفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ [١].

[١] ومُثِبَّةُ الصَّفَاتِ لَا يُوَافِقُونَهُمْ عَلَى هَذَا إِطْلَاقًا، بل يَقُولُونَ: أَخْصُ وَصْفٍ -يعني: ما لا يَتَصِفُ بِهِ غَيْرُهُ مِثْلُ كَوْنِهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ- هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَصِّفَ بِهِ غَيْرُ اللهِ، فَلَا يَجِدُ أَنْ تَقُولَ لِأَيِّ مُخْلُوقٍ: أَنْتَ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ، وَأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فَهُوَ مِنْ أَخْصُ أَوْصَافِ اللهِ، لَا يُوَصِّفُ بِهِ غَيْرُهُ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَذِلِكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا، كُلُّ قَوْمٍ لِهِ، وَالصَّفَةُ لَا تُوَصِّفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَمَعْنَى (الصَّفَةُ لَا تُوَصِّفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ) أَيْ: أَنَّكَ لَا تَقُولُ: إِنَّ قُدْرَةَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ مُوَصَّفَةٌ بِكَوْنِهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ وَنَحْوَهُ، وَهَذَا يَحْرُمُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ: يَا قُدْرَةَ اللهِ هَيْئَيْ لِي كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ هَنَا نَعْرِفُ أَنَّ تَعْبِيرَ بَعْضِ النَّاسِ فِي قَوْلِهِمْ: شَاءَتِ الْمُشَيْئَةُ، أَوْ قَضَتِ الْمُشَيْئَةُ اللَّهِ، أَنْ فِيهَا نَظَارًا؛ لِأَنَّ الْمُشَيْئَةَ وَصْفٌ لَا مَوْصُوفٌ، فَالَّذِي يَقْضِي وَيَشَاءُ هُوَ اللهُ، وَلَكُنْهُمْ يُعَبِّرُونَ بِهَذَا إِمَّا تَسَامِحًا وَإِمَّا جَهَلًا.

بعضهم أيضًا يقول: تقتضي الحِكْمَةُ كذا وكذا، اقتضته حِكْمَةُ اللهِ، هذا أهون من الأوَّلِ من قولِ: شَاءَتِ الْمُشَيْئَةُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى اقتضَتِهِ حِكْمَةُ اللهِ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ حِيْثُ هِيَ حِكْمَةٌ تَسْتَلِزُمُ كذا وكذا؛ بِمَعْنَى الالتزامِ، المهمُ أَنَّ الصَّفَةَ لَيْسَ مُوَصُوفًا.

يقول المؤلف رَحْمَةُ اللهِ: «لَا تُوَصِّفُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ» فلا تَقُولُ عن صفةِ اللهِ أَنَّهَا -أَيْ: الصَّفَةَ- بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَلَا أَنَّهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا أَنَّهَا إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَإِذْن

ثُمَّ مِنْ هُؤُلَاءِ الصَّفَاتِيَّةِ<sup>[١]</sup> مَنْ لَا يَقُولُ فِي الصَّفَاتِ إِنَّهَا قَدِيمَةُ، بَلْ يَقُولُ: الرَّبُّ بِصِفَاتِهِ قَدِيمٌ.

لَمْ تَتَصَفِّ الصَّفَةُ بِشَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ، فَإِذَا أَثْبَتَ اللَّهَ الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ وَالْحَيَاةَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرَ لَمْ تَكُنْ مُمْثَلًا إِلَّا عِنْدَ الْمُعْتَرِزَلِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِصِفَةٍ قَدِيمَةٍ فَهُوَ مُمْثَلٌ؛ لَأَنَّ أَخْصَّ وَصْفٍ لِلَّهِ عِنْدَهُمْ هُوَ الْقِدْرُ.

[١] الآن المؤلِّف رَحْمَةُ اللَّهِ قَسَمَ الصَّفَاتِيَّةَ إِلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ، وَالْمُرَادُ بِالصَّفَاتِيَّةِ: هُمُ الَّذِينَ يُثْبِتونَ الصَّفَاتِ كُلَّهَا أَوْ بَعْضُهَا، مِنْهُمْ مَنْ لَا يَقُولُ إِنَّ الصَّفَاتِ مِنْهَا قَدِيمٌ؛ يَعْنِي: يَمْتَنِعُ أَنْ يَقُولَ: حَيَاةُ اللَّهِ قَدِيمَةُ، سَمْعُهُ قَدِيمٌ، بَصَرُهُ قَدِيمٌ، لَا يَقُولُ هَذَا، وَلَكِنْ يَقُولُ: الرَّبُّ بِصِفَاتِهِ قَدِيمٌ؛ إِذْ مَا مِنْ ذَاتٍ إِلَّا وَلَهَا صِفَاتٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُوْجَدَ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ بِدُونِ صِفَاتٍ أَبَدًا مَا يُمْكِنُ أَنْ تُوْجَدَ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنْ صِفَةٍ إِطْلَاقًا.

فَهَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ قَدِيمٌ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةُ، وَلَا يَقُولُ هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ؛ يَعْنِي: إِنَّ أَخْبَرْتَ بِالْقِدْرَمِ عَنِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَعَنِ الصَّفَةِ وَحْدَهَا فَهُوَ جَائزٌ، وَإِنْ جَمَعْتُهُمَا فِي خَيْرٍ وَاحِدٍ فَهُوَ لَا يَجُوزُ؛ يَعْنِي: غَرِيبٌ.

إِذْنَ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: اللَّهُ قَدِيمٌ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: اللَّهُ وَصِفَتُهُ قَدِيمَانِ، فَتَجَمَّعُهُمَا فِي خَيْرٍ وَاحِدٍ.

يَقُولُونَ: إِذَا أَخْرَجْتَ كُلَّ وَاحِدٍ عَنِ الْآخِرِ فَقَدْ مَيَّزْتَ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا قَرَنْتَهُمَا فِي خَيْرٍ وَاحِدٍ فَقَدْ أَشْرَكْتَ بَيْنَهُمَا، مُثْلَ مَا أَنْكَ لَوْ تَقُولَ: لَوْلَا اللَّهُ وَزِيدٌ أَنْقَذَنِي مِنَ الْغَرَقِ هَلْكَتُ، أَوْ أَنْقَذَنِي مِنَ الْغَرَقِ هَلْكَتُ. هَلْ هَذَا يَجُوزُ؟ لَا يَجُوزُ، لَكِنْ لَوْ قَلْتَ: لَوْلَا زِيدٌ أَنْقَذَنِي مِنَ الْغَرَقِ بِلَازَ ذَلِكَ، وَقُولَنَا: لَوْلَا اللَّهُ أَنْقَذَنِي مِنَ الْغَرَقِ، يَجُوزُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ قَدِيمٌ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةٌ، وَلَا يَقُولُ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ [١].  
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ؛ وَلَكِنْ يَقُولُ: ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي مُشَارِكَةً  
 الصَّفَةِ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ؛ فَإِنَّ الْقِدَمَ لَيْسَ مِنْ خَصَائِصِ الدَّاَتِ الْمُجَرَّدَةِ، بَلْ  
 مِنْ خَصَائِصِ الدَّاَتِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتٍ، وَإِلَّا فَالدَّاَتُ الْمُجَرَّدَةُ لَا وُجُودَ لَهَا  
 عِنْدَهُمْ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَخْتَصَ بِالْقِدَمِ [٢].

[١] هم يَقُولُونَ: إن قلت: الله القَدِيمُ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةٌ ليس في هذا بأس، وإن  
 قلت: الله وَصِفَتُهُ قَدِيمَانِ فهو لا يجوز عندهم.

[٢] الرَّأْيُ الثَّالِثُ: يقول هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ لكن يقول: ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي مُشَارِكَةً  
 الصَّفَةِ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ، فَإِنَّ الصَّفَةَ لَيْسَتْ مِنْ خَصَائِصِ الدَّاَتِ الْمُجَرَّدَةِ، بَلْ  
 مِنْ خَصَائِصِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتٍ، وَإِلَّا فَالدَّاَتُ الْمُجَرَّدَةُ لَا وُجُودَ لَهَا عِنْدَهُمْ فَضْلًا  
 عَنْ أَنْ تَخْتَصَ بِالْقِدَمِ، هَذَا هُوَ أَقْرَبُ الْأَقْوَالِ أَنْ نَقُولُ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ، لَكِنْ  
 ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ الصَّفَةُ مُشَارِكَةً لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ.

نَقُولُ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ لَكِنْ لَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ الصَّفَةُ مُنْفَصِلَةً عَنْ مُشَارِكَةِ  
 لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ هَذَا؛ لِأَنَّ الدَّاَتَ الْمُجَرَّدَةَ عَنِ الْصَّفَاتِ غَيْرِ  
 ثَابِتَةٍ، مَا مِنْ دَاتٍ إِلَّا وَلَهَا صِفَاتٌ.

فَيَقُولُونَ: هُوَ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ، لَكِنْ لَا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا تَقْدِرُ أَنَّ الصَّفَةَ مُسْتَقْلَةٌ عَنِ  
 الدَّاَتِ؛ لِأَنَّ اسْتِقْلَالَ الصَّفَةِ عَنِ الدَّاَتِ أَمْرٌ غَيْرِ مُمْكِنٍ، وَقَدْ يَقُولُونَ: الدَّاَتُ مُتَصِّفَةٌ  
 بِالْقِدَمِ، وَالصَّفَاتُ مُتَصِّفَةٌ بِالْقِدَمِ، وَلَيْسَ الصَّفَاتُ إِلَّا وَلَا رَبًّا؛ يَعْنِي مَعْنَاهُ: يَفْصِلُونَ  
 هَذَا عَنِ هَذَا وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَيْسَ فِي الصَّفَاتِ إِلَّا وَلَا رَبًّ؛ مَثَلُ: أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدَ وَصِفَاتُهُ

مَحَدَّثٌ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَحَدَّثٌ، صِفَاتُهُ مِنَ الطُّولِ أَوِ الْقِصْرِ أَوِ الْبَيْاضِ أَوِ السَّوَادِ أَوِ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مَحَدَّثًا، تَقُولُ مثلاً: النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولٌ، تَقُولُ: كُونُهَ رَبِيعَةً مِنَ الرِّجَالِ لَيْسَ بِالْقِصْرِ وَلَا بِالْطَّوْلِ الْبَائِنِ، هَذَا رَسُولٌ يَعْنِي: هَذِهِ الصَّفَةُ فِيهِ، نَقُولُ مثلاً: بَيْاضُ وَجْهِهِ وَنُورُهُ.

نَقُولُ: اللَّهُ تَعَالَى قَدِيمٌ، وَلَكِنْ صِفَتُهُ الَّتِي هِيَ قَدِيمَةٌ لَيْسَ إِلَّا، كَمَا أَنَّ الرَّسُولَ مَحَدَّثٌ وَلَيْسَ صِفَتُهُ الْمَحَدَّثَةُ رَسُولاً.

الْوَاقِعُ أَنَّا نَقُولُ بِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ؛ إِمَّا أَنْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمٌ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ ذَاتٌ بَدُونَ صِفَةٍ، أَوْ تَقُولُ: اللَّهُ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَانِ، لَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الصَّفَةَ مَتَمِّيَّةٌ عَنِ الْخَالِقِ عَنِ الْمَوْصُوفِ بِحِيثُ تَكُونُ رِيَّاً أَوْ إِلَّا، وَأَمَّا أَنْ تُفَرَّقَ بَيْنَ أَنْ تَقُولُ: اللَّهُ قَدِيمٌ وَصِفَتُهُ قَدِيمَةٌ فَهُوَ جَائزٌ، فَإِنْ قَلَتْ: اللَّهُ وَصِفَتُهُ قَدِيمَانِ فَهُوَ مُنْوَعٌ، وَهَذَا لَا وَجْهَ لَهُ؛ فَالْأَمْرُ لَا يَدُورُ عَلَى التَّعْبِيرِ، وَلَكِنْ يَدُورُ عَلَى الْمَعْنَى.

ذَكَرْتُ مَثَالَيْنِ فِي الْإِرَادَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِنْ شَتَمْتُ ثَبَّتُوا الْإِرَادَةَ بِالسَّمْعِ، فَإِثْبَاتُ السَّمْعِ عِنْدَ الْمُعَتَزِّلَةِ تَشْبِيهٌ، وَعِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ لَيْسَ بِتَشْبِيهٍ، وَإِثْبَاتُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ تَشْبِيهٌ وَعِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ لَيْسَ بِتَشْبِيهٍ.

وَالحاصلُ أَنَّ التَّشْبِيهَ المُنْفَيِّ إِنْ أُرِيدَ بِهِ الْمَاهِلَةُ الَّتِي فِيهَا يَجُوزُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا يَجُوزُ عَلَى الْآخَرِ، وَيَمْتَنَعُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنَعُ، وَيَحْبُّ مَا يَحْبَبُ إِنْ أُرِيدَ بِهَا ذَلِكَ فَهَذَا لَا يُمْكِنُ.

وَإِنْ أُرِيدَ بِالْمُشَابِهَةِ الْمُشَابِهَةُ بِوَجْهِهِ دُونَ آخَرَ أَوْ الْمُشارِكَةُ فِي الْاسْمِ فَهَذَا جَائزٌ،

وَقَدْ يَقُولُونَ: الْذَّاتُ مُتَصِّفَةٌ بِالْقِدَمِ وَالصِّفَاتُ مُتَصِّفَةٌ بِالْقِدَمِ، وَلَيْسَتِ الصِّفَاتُ إِلَهًا وَلَا رَبًّا، كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا وَصِفَاتُهُ مُحَمَّدَةٌ، وَلَيْسَتِ صِفَاتُهُ تَبِيَّاً! [١].

لكنه لا يُمْكِنُ القول به؛ لأنَّ كُلَّ من يَدْعِي أنَّ هذا تَشْبِيهٌ يُنكِرُهُ أو يَنَازِعُهُ في ذَلِكَ خَصْمُهُ ويقول: ليس بـتَشْبِيهٍ فَتَبَيَّنَ أَنَّ الاعْتِمَادَ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى مُجَرَّدِ فِي التَّشْبِيهِ، حُكْمُهُ لَا يَحْجُوزُ.

[١] من شُبَهِهِمْ أَيْضًا أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلزمُ التَّجَسِيمَ وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةُ، وهذا امتدادٌ لما سبقَ من أَنَّ إِطْلَاقَ الاعْتِمَادِ عَلَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يَحْجُوزُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي التَّشْبِيهِ حَتَّى إِنْ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ تَشْبِيهٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ تَشْبِيهٌ، فَالاعْتِمَادُ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ أَمْرٌ لَا يَحْجُوزُ، كَمَا أَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَى إِثْبَاتِ بِلَا تَشْبِيهٍ أَمْرٌ لَا يَحْجُوزُ.

كُلُّ ما يَأْتِي مِنْ كَلَامِ الْمُؤْلِفِ رَحْمَةُ اللَّهُ وَكَلامُهُ مَعَ الْمَنَازِعِينَ فَرْعُ، إِنَّمَا الْقَاعِدَةُ أَنَّهُ لَا يَصْحُّ فِي إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللَّهِ أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ، أَوْ عَلَى مُجَرَّدِ الإِثْبَاتِ بِلَا تَشْبِيهٍ.

أَمَا الْأَوَّلُ فَلَا لَكَ إِذَا قُلْتَ: نَعْتَمِدُ عَلَى النَّفْيِ الْمُطْلَقِ الَّذِي هُوَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ، فَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ إِثْبَاتَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ تَشْبِيهٌ، وَقَدْ يَقُولُ غَيْرُهُ: إِثْبَاتُ الْعُلُوِّ تَشْبِيهٌ، وَقَدْ يَقُولُ آخَرٌ: إِثْبَاتُ الْحَيَاةِ تَشْبِيهٌ، وَإِثْبَاتُ الْعِلْمِ تَشْبِيهٌ، وَإِثْبَاتُ الْقُدرَةِ تَشْبِيهٌ.

كَذَلِكَ إِذَا اعْتَمَدْتَ عَلَى إِثْبَاتِ بِلَا تَشْبِيهٍ مَا يَصْحُّ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: ثَبَّتْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنَّهَا لَا يُشْبِهُ أَنَافَ الْمَخْلُوقِينَ، أَنَّ لَهُ بَطْنًا لَا يُشْبِهُ بَطْوَنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذَا لَا يَحْجُوزُ.

النَّقْطَةُ الثَّانِيَةُ: مُجَرَّدُ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يَصْحُّ لَا فِي الإِثْبَاتِ وَلَا فِي النَّفْيِ.

فَهُؤُلَاءِ إِذَا أَطْلَقُوا عَلَى الصَّفَاتِيَّةِ اسْمَ التَّشِيهِ وَالتَّمْثِيلِ كَانَ هَذَا بِحَسْبِ اعْتِقَادِهِمُ الَّذِي يُنَازِعُهُمْ فِيهِ أُولَئِكَ [١].

ثُمَّ تَقُولُ لَهُمْ أُولَئِكَ: هَبْ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى قَدْ يُسَمَّى فِي اصْطِلَاحِ بَعْضِ النَّاسِ تَشِيهًا، فَهَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَنْفِهِ عَقْلٌ وَلَا سَمْعٌ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ نَفْيُ مَا نَفَتَهُ الْأَدِلَّةُ الشَّرِعِيَّةُ وَالْعُقْلِيَّةُ [٢]، .....

[١] قوله: «فَهُؤُلَاءِ» يقصدُ الَّذِينَ يُنكِرُونَ الصَّفَاتِ، «إِذَا أَطْلَقُوا عَلَى الصَّفَاتِيَّةِ» الَّذِينَ يُشْتُونَ الصَّفَاتِ سَوَاءً أَثْبَتوُا الْجَمِيعَ أَوْ أَثْبَتوُا الْبَعْضَ، «اسْمَ التَّشِيهِ وَالتَّمْثِيلِ كَانَ هَذَا بِحَسْبِ اعْتِقَادِهِمُ الَّذِي يُنَازِعُهُمْ فِيهِ أُولَئِكَ» يُطْلَقُونَ عَلَى الصَّفَاتِيَّةِ اسْمَ التَّشِيهِ.

الأشاعرُ يَقُولُونَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ: أَنْتُمْ مُشَبِّهُونَ؛ لَا نَكُونُ شُبُّونَ لِللهِ تَعَالَى الرَّحْمَةُ وَالْمَحَبَّةُ وَمَا أَشَبَّهَ ذَلِكَ، وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ لِلأشاعرَةِ: أَنْتُمْ مُشَبِّهُونَ؛ لَا نَكُونُ شُبُّونَ الْإِرَادَةُ وَالْكَلامُ وَالبَصَرُ وَالسَّمْعُ، وَالْغُلَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ يَقُولُونَ لِمَنْ أَثْبَتَ وَجْهَ اللَّهِ: أَنَّتُمْ مُشَبِّهُونَ، كَانَ هَذَا بِحَسْبِ اعْتِقَادِهِمُ الَّذِي يُنَازِعُهُمْ فِيهِ أُولَئِكَ.

[٢] مثلاً نَقُولُ: أَنَا أَثْبَتُ السَّمْعَ لِللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يَقُولُونَ: إِثْبَاتُ السَّمْعِ تَشِيهٌ، نَقُولُ لَهُمْ: هَبْ أَنَّ إِثْبَاتَ السَّمْعِ يُسَمَّى فِي اصْطِلَاحِكَ تَشِيهًا، هَبْ بِمَعْنَى: قَدْرٌ، قَدْرٌ أَنْهُ يُسَمَّى تَشِيهًا، فَهُلْ إِذَا سَمَّيْتُهُ أَنْتَ تَشِيهًا يَجِبُ عَلَيَّ نَفْيُهُ مَعَ أَنَّ الْأَدِلَّةَ أَثْبَتَهُ؟

الجواب: لا، فَلِهُذَا يَقُولُ: «فَهَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَنْفِهِ عَقْلٌ وَلَا سَمْعٌ».

فَإِذَا لَمْ يَنْفِهِ الْعَقْلُ وَلَا السَّمْعُ بِلِ أَثْبَتَهُ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ وَالْعُقْلِيَّةُ فَالْوَاجِبُ إِثْبَاثُهُ، سَمَّهُ أَنْتَ تَشِيهًا أَوْ لَا تُسَمِّهُ، مَعَ أَنَّا نَحْنُ لَا نُثْبِتُهُ عَلَى سَبِيلِ التَّشِيهِ؛ إِذَا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ

وَالْقُرْآنُ قَدْ نَفَى مُسَمَّى الْمِثْلِ وَالْكُفْءِ وَالنَّدَّ وَنَحْوِ ذَلِكَ<sup>[١]</sup>.

وَلَكِنْ يَقُولُونَ: الصَّفَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَيْسَتْ مِثْلَ الْمَوْصُوفِ وَلَا كُفُؤَةُ وَلَا نِدَّهُ فَلَا يَدْخُلُ فِي النَّصِّ، وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَلَمْ يَنْفِ مُسَمَّى التَّشِيهِ فِي اصطِلاحِ الْمُعَتَزِّلَةِ<sup>[٢]</sup>.

سَمِعًا لَا يُشِيهُ أَسْيَاعَ الْمَخْلُوقِينَ وَبَصَرًا لَا يُشِيهُ أَبْصَارَ الْمَخْلُوقِينَ، وَنَحْنُ إِذَا رَأَيْنَا فِي الشَّاهِدِ أَنَّ السَّامَعَاتِ تَخْتَلِفُ أَسْيَاعُهُمْ وَالْبَاسِرَاتِ تَخْتَلِفُ أَبْصَارُهُمْ، الطَّيْرُ فِي جَوَّ السَّمَاءِ يَنْظُرُ إِلَى الْحَبَّةِ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا طَلَعْنَا إِلَى سَطْحِ الْأَرْضِ لَنْتَظُرُ إِلَى الْحَبَّةِ فِي الْأَرْضِ فَلَنْ تَرَاهَا.

[١] المُحْذُورُ أَنْ تَكُونَ الْمَشَابِهَةُ مُطْلَقاً بِحِيثُ يَكُونُ هَذَا كُفُؤاً هَذَا وَهَذَا مِثْلًا هَذَا، وَلَكِنْ يَقُولُونَ: الصَّفَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَيْسَتْ مِثْلَ الْمَوْصُوفِ وَلَا كُفُؤَةُ وَلَا نِدَّهُ فَلَا يَدْخُلُ فِي النَّصِّ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَيْءٌ» [الشورى: ١١]، هَذَا نَفِيٌّ لِلْمِثْلِ فَهُلْ الصَّفَةُ مِثْلُ الْمَوْصُوفِ؟

الجواب: لَا، لَيْسَ الصَّفَةُ كَالْمَوْصُوفِ؛ إِذَنَ الصَّفَةُ مَعْنَى فِي الْمَوْصُوفِ وَلَيْسَ هِيَ الْمَوْصُوفُ، فَالْبَصَرُ لَيْسَ هِيَ الْعَيْنُ، وَلَكِنَّهُ قُوَّةُ فِي الْعَيْنِ، وَالسَّمْعُ لَيْسَ هِيَ الْأَذْنُ، لَكِنَّهُ قُوَّةُ لِلْأَذْنِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، النُّطُقُ لَيْسَ هِيَ اللِّسَانُ، وَلَكِنَّهُ قُوَّةُ فِي اللِّسَانِ وَالشَّفَّتَيْنِ وَالْحَلْقِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَأَمَّا الْعَقْلُ فَلَمْ يَنْفِ مُسَمَّى التَّشِيهِ فِي اصطِلاحِ الْمُعَتَزِّلَةِ». الْمُعَتَزِّلَةُ يَرَوْنَ كُلَّ مِنْ أَثَبَتَ صَفَةً فَهُوَ مُشَبِّهٌ، وَكُلُّ إِثْبَاتٍ صِفَةٌ عِنْدَهُمْ تَشِيهٌ، وَالْعَقْلُ لَا يَنْفِي ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَقُولُونَ: إِنَّ الصَّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجَسْمٍ مَتَّحِيزٍ، وَالْأَجْسَامُ مَتَّهِيلَةٌ، فَلَوْ قَامَتْ بِهِ الصَّفَاتُ لَلَّزِيمَ أَنْ يَكُونَ مُمَاثِلًا لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ، وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ<sup>[١]</sup>.

وَكَذَلِكَ يَقُولُ هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّفَاتِيَّةِ الَّذِينَ يُشْتَهِيُونَ الصَّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عُلوَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَقِيَامَ الْأَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ بِهِ، وَنَحْنُ ذَلِكَ.

وَيَقُولُونَ: الصَّفَاتُ قَدْ تَقُومُ بِمَا لَيْسَ بِجَسْمٍ، وَأَمَّا الْعُلوُّ عَلَى الْعَالَمِ فَلَا يَصْحُ إِلَّا إِذَا كَانَ جِسْمًا، فَلَوْ أَتَبَتْنَا عُلوَّهُ لَلَّزِيمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَجِبَتْنِي فَالْأَجْسَامُ مَتَّهِيلَةٌ فَيَلْزَمُ التَّشْبِيهُ<sup>[٢]</sup>.

[١] يعني: تقرير المعتزلة بأن إثبات الصفات تشبه يقول: الصفات لا تقوم إلا بجسم متخيّز، هذه مقدمة، المقدمة الثانية: والأجسام متماثلة.

النتيجة: لو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلاً لسائر الأجسام، وهذا هو التّشبيه.

يقول المعتزلة: إن الصفات لا تقوم إلا بجسم، لا يمكن أن يكون هناك سمّيع إلا وهو جسم يسمع، بصير إلا وهو جسم يُصِرُّ وهكذا، والأجسام متماثلة، كل جسم يماثل الجسم الآخر، واحد زائد اثنين النتيجة ثلاثة، الصفات لا تكون إلا بجسم، والأجسام متماثلة إذن إثبات الصفات يستلزم التّشبيه، هذه النتيجة مثل نتيجة الجمع بالضبط.

[٢] قوله: «وَكَذَلِكَ يَقُولُ» مقول القول، «هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّفَاتِيَّةِ الَّذِينَ يُشْتَهِيُونَ الصَّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عُلوَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَقِيَامَ الْأَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ بِهِ وَنَحْنُ ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ:

الصّفاتُ قَدْ تَقْوُمُ بِمَا لَيْسَ بِجَسْمٍ، وَأَمَّا الْعُلُوُّ عَلَى الْعَالَمِ فَلَا يَصْحُ إِلَّا إِذَا كَانَ جِسْمًا، فَلَوْ أَثْبَتْنَا عُلُوًّهُ لِلَّزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَحِينَئِذٍ فَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ».

هُنَاكَ أَنَاسٌ يُثْبِتونَ بَعْضَ الصّفَاتِ وَيُنْفُونَ عُلُوًّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَقِيَامُ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَلِيقُ بِهِ مِثْلُ الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يُثْبِتونَ بَعْضَ الصّفَاتِ وَيُنْكِرُونَ عُلُوًّهُ عَلَى الْعَرْشِ، يَقُولُونَ: اللَّهُ لَمْ يَعْلُمْ عَلَى الْعَرْشِ؛ يَعْنِي: لَمْ يَسْتَوِ عَلَيْهِ، وَيُنْكِرُونَ قِيَامَ الْأَفْعَالِ الْأَخْتِيَارِيَّةِ بِهِ: مِثْلُ النَّزُولِ مَثَلًا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، هَذَا فَعْلٌ اخْتِيَارِيٌّ، يَقُولُونَ: لَا يَمْكُنُ أَنْ يَتَرَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَلَا يَمْكُنُ أَنْ يَفْعَلَ الْأَفْعَالِ الْأَخْتِيَارِيَّةَ، لِمَاذَا؟

قَالُوا: لِأَنَّ هَذِهِ الصّفَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِجَسْمٍ، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، أَمَّا السَّمْعُ وَالبَصْرُ فَلَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَقُولُ بِمَا لَيْسَ بِجَسْمٍ، وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ قَوْلَهُمْ إِنَّ الصّفَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِجَسْمٍ وَالْمَخْلُوقَاتُ تَكُونُ بِغَيْرِ جَسْمٍ هَذَا صَحِيحٌ.

وَهَذَا الآن أَنَا أَرِيدُ أَنْ أَرْدَدَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْأَوَّلِينَ فَنَقُولُ:

قَوْلُ الْأَوَّلِينَ إِنَّ الصّفَاتِ لَا تَقْوُمُ إِلَّا بِجَسْمٍ. مَرْدُودٌ بِقَوْلِ الْآخَرِينَ: إِنَّ الصّفَاتِ قَدْ تَقْوُمُ بِمَا لَيْسَ بِجَسْمٍ؛ فَأَنْتَ الآن تَقُولُ: الْيَوْمُ طَوِيلٌ بَدَلًا مِنْ أَنْ تَقُولَ: النَّهَارُ، وَتَقُولُ: لَيْلٌ طَوِيلٌ وَنَهَارٌ قَصِيرٌ، وَتَصِفَ النَّهَارَ بِالْقِصْرِ، وَتَصِفَ اللَّيْلَ بِالطُّولِ، الطُّولُ وَالْقِصْرُ صَفَّةٌ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ غَيْرُ جَسْمٍ.

قَوْلُهُمْ: الْأَثَنَانِ يَقُولانِ: إِنَّ الْأَجْسَامَ مُتَمَاثِلَةٌ؛ الْأَوَّلُونَ قَالُوا: إِنَّ الْأَجْسَامَ مُتَمَاثِلَةٌ وَهُؤُلَاءِ أَيْضًا يَقُولُونَ ذَلِكَ، وَأَمَّا الْعُلُوُّ فَلَا يَصْحُ إِلَّا إِذَا كَانَ جِسْمًا فَلَوْ أَثْبَتْنَا عُلُوًّهُ لِزِمَّ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا وَحِينَئِذٍ فَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ.

.....  
.....  
.....

هل صحيح أن الأجسام متماثلة؟

الأجسام ليست متماثلة بلا شك، لا في الكبير ولا في الصغر، ولا في الحجم، ولا في الوزن بعضها خفيف وبعضها ثقيل، ولا في اللمس، ولا في اللون، ولا في الشكل، المهم ليست متماثلة بأي شيء من الأشياء، عندك حجر صلب قديم وعندك زبدة هل هما متماثلان؟ عندك مثلاً شوك وعندك بساط لين، هل هما واحد؟!

إذن القول بأن الأجسام متماثلة هذا من أبطل الأقوال، ولا يمكن أن تتماثل الأجسام، وأنا أتعجب من هؤلاء الذين يدعون أنهم عقلاً كيف يقولون إن الأجسام متماثلة؟ إذا قالوا الأجسام متماثلة نقول: بأي شيء تتماثل بالوجود مثلاً؟

لابد لكل موجود أن يشارك غيره في أصل الوجود، إن أرادوا بالتسمية كل واحد منها هو جسم صحيح، لكن إن أرادوا في الحقيقة هل يمكن أنها تتماثل؟

الجواب: لا يمكن، إذن نمنع المقدمة الأولى والثانية، وإذا منعنا المقدمتين انتفت النتيجة؛ لأن النتيجة مبنية على ثبوت المقدمتين، فإذا انتفت المقدمتان انتفت النتيجة، إذا قلنا لهم: قولكم إن الصفات لا تقوم إلا بجسم. هذا منوع، وعندنا برهان على منعه مثل: الليل والنهار يوصافان بالطول والقصر، ويوصفان بالشدة والرخاء، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠].

فعلى هذا: الصفات تقوم بما ليس بجسم.

إذا قالوا الأجسام متماثلة، وعندنا برهان، نقول: مثلاً: الزبدة، والقطن، والحجر، هل بينهم فرق؟!

فَلِهَذَا تَحْدُّ هُؤُلَاءِ يُسْمُونَ مَنْ أَثْبَتَ الْعُلُوَّ وَنَحْوَهُ مُشَبِّهًا، وَلَا يُسْمُونَ مَنْ أَثْبَتَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ وَنَحْوَهُ مُشَبِّهًا، كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْإِرْشَادِ وَأَمْثَالُهُ<sup>[١]</sup>.

وَكَذَلِكَ يُوَافِقُهُمْ عَلَى القَوْلِ بِمَاهِلِ الْأَجْسَامِ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَأَمْثَالُهُ مِنْ مُشَبِّهَاتِ الْصَّفَاتِ وَالْعُلُوِّ؛ لَكِنَّ هُؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعُلُوَّ صِفَةً خَبَرِيَّةً كَمَا هُوَ أَوَّلُ قَوْلِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى، فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي الْوَجْهِ<sup>[٢]</sup>.

وَقُمْ مثلاً إِلَى الشَّيْءِ الْأَحْمَرِ وَالشَّيْءِ الْأَصْفَرِ، انْظُرْ إِلَى الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ، هُلْ هِيَ مَمَاثِلَةُ؟! إِذَا امْتَنَعْتَ الْمَقْدَمَتَانِ الْمَبْنَى عَلَيْهِمَا التَّشْبِيهُ اتَّفَقَتِ التَّتِيَّجَةُ وَهِيَ التَّشْبِيهُ.

[١] قَوْلُهُ: «تَحْدُّ هُؤُلَاءِ يُسْمُونَ مَنْ أَثْبَتَ الْعُلُوَّ وَنَحْوَهُ مُشَبِّهًا، وَلَا يُسْمُونَ مَنْ أَثْبَتَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ وَنَحْوَهُ مُشَبِّهًا، كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْإِرْشَادِ وَأَمْثَالُهُ».

لَأَنَّ عَنْهُمْ بِأَنَّ هَذَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ، وَهَذَا لَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ، الَّذِي يُثْبِتُ الْعُلُوَّ يُثْبِتُ أَنَّهُ جَسْمٌ، وَالَّذِي يُثْبِتُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ لَمْ يُثْبِتْ أَنَّهُ جَسْمٌ، هَذَا تَحْكُمُ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ فِيهِ فَرْقٌ.

[٢] يَقُولُونَ: نَحْنُ نُثِبُ الصَّفَاتِ وَنُرَى أَنَّ الْأَجْسَامَ مَمَاثِلَةً، لَكِنَّهُمْ يَمْنَعُونَ أَنْ تَكُونَ الصَّفَاتُ لَا تَقْوُمُ إِلَّا بِجَسْمٍ، وَيَجْعَلُونَ الْعُلُوَّ صِفَةً خَبَرِيَّةً كَمَا هُوَ أَوَّلُ قَوْلِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى، فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي الْوَجْهِ.

عِنْدَنَا الْعُلَمَاءُ يُقْسِمُونَ الْكَلَامَ فِي الصَّفَاتِ، أَوْ يُقْسِمُونَ الصَّفَاتِ إِلَى قَسْمَيْنِ: صِفَاتٌ خَبَرِيَّةٌ؛ بِمَعْنَى أَنَّ إِثْبَاتَهَا جَاءَ عَنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ الْمُحْضِ، مَا لِلْعُقْلِ فِيهَا مَذْخُلٌ مُثُلٌ: إِثْبَاتِ الْوَجْهِ، وَالْيَدِ وَالْعَيْنِ.

و لا تَدْلُّ عليها الفطرة ولا العقل، وهذا لو قال قائل: أتَشْبِهُنَّ اللَّهَ رَأْسًا؟ نقول: لا. لماذا لا تُشْبِهُنَّ؟ لأنَّ السَّمْعَ لم يَرِدْ به.

و هل تُشْبِهُنَّ أنَّ اللَّهَ يتكلَّمُ؟ نعم؛ لأنَّ الشَّرْعَ و العقل دَلَّ عليه. تُشْبِهُنَّ أنَّ لَهُ لِسَانًا؟ لا؛ لأنَّ ما جاءَ به السَّمْعُ.

صِفَاتٌ عَقْلِيَّةٌ مثُلُّ: الْقُدْرَةُ وَالْعِزَّةُ وَالْخَلْقِيُّ، هَذِهِ صِفَاتٌ خَيْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْعُقْلُ وَتُثْبِتُ بِالْعُقْلِ وَالسَّمْعِ.

وإذا سُئِلَ سَائِلٌ: هل يَصْحُّ أَنْ يَقُولَ شَخْصٌ: لِسَانُ اللَّهِ؟

فاجْلَوَابٌ: لا، أَوْلُ مَا نَقُولُ: لَا يَنْبَغِي أَنْ تَقُولَ عَلَى لِسَانِ اللَّهِ؛ لأنَّ هَذَا مَا ثَبَّتَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَكِنَّهُ هُوَ لَا يُرِيدُ اللِّسَانَ الَّذِي هُوَ الْجَارِحُ، بَلْ يُرِيدُ بِاللِّسَانِ الَّذِي هُوَ الْقَوْلُ وَالْكَلَامُ، وَمَعَ ذَلِكَ نَقُولُ: لَا تَفْعَلْ؛ لأنَّهُ لَا يَمْكُنُ إطْلَاقُ اللِّسَانِ عَلَى القَوْلِ إِلَّا فِي قَوْلٍ مَنْ لَهُ لِسَانٌ فَلَا تَقُولْ: لِسَانُ اللَّهِ.

و يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ بِلَا لِسَانٍ كَمَا تَكَلَّمُ الْأَرْضُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «**تَحْدِيثُ أَخْبَارَهَا**» [الزلزلة: ٤]، وَكَمَا أَنْ جِلْدَكَ يَشَهُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُنْطَقُ.

أَلِيسَ الْحَصَى يُسَبِّحُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُسَمِّعُ؟ فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْكَلَامِ أَنْ يَكُونَ لِسَانًا.

يَقُولُ أَبُو يَعْلَى وَمَنْ وَافَقَهُ: إِنَّا ذَكَرْنَا أَنَّ مَا أَثْبَتَنَا لَا يُنَافِي الْجِسْمَ؛ يَعْنِي: وَإِنْ قَدْرَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ حَيْثُ إِنَّهُ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ، وَنَقُولُ: إِنَّ الْأَجْسَامَ لَيْسْتُ مَتَّهِيلَةً.

وَقَدْ يَقُولُونَ إِنَّ مَا يُشْتُرُونَهُ لَا يُنَافِي الْحِسْبَمَ كَمَا يَقُولُونَهُ فِي سَائِرِ الصَّفَاتِ وَالْعَاقِلُ إِذَا تَأَمَّلَ وَجَدَ الْأَمْرَ فِيهَا نَقْوهُ كَالْأَمْرِ فِيهَا أَتَبْتُوهُ لَا فَرَقَ وَأَصْلُ كَلَامِ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ إِثْبَاتَ الصَّفَاتِ مُسْتَلِزٌ لِلتَّجْسِيمِ وَالْأَجْسَامُ مُتَهَالِلَةٌ<sup>[١]</sup> وَالْأَجْسَامُ مُتَهَالِلَةٌ<sup>[٢]</sup>.

وَالْمُشْتَرُونَ يُجِيِّبُونَ عَنْ هَذَا تَارَةً بِمَنْعِ الْمُقْدَمَةِ الْأُولَى، وَتَارَةً بِمَنْعِ الْمُقْدَمَةِ الْثَانِيَةِ، وَتَارَةً بِمَنْعِ كُلِّ مِنَ الْمُقْدَمَتَيْنِ، وَتَارَةً بِالاسْتِفْصَالِ<sup>[٣]</sup>.

[١] هذا الأصلُ، كُلُّ الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ هُنَا مِنْ أَخْدِ وَرَدٍ يَعُودُ عَلَى هَاتَيْنِ النُّقْطَتَيْنِ، إِثْبَاتُ الصَّفَاتِ مُسْتَلِزٌ لِلتَّمَثِيلِ، وَالْأَجْسَامُ مُتَهَالِلَةُ، وَنَحْنُ نُجِيِّبُهُمْ بِمَنْعِ الْمُقْدَمَتَيْنِ جَمِيعًا، فَنَقُولُ: قَوْلُكُمْ: إِثْبَاتُ الصَّفَاتِ مُسْتَلِزٌ لِلتَّجْسِيمِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ إِذْ قَدْ تَقْوُمُ الصَّفَةُ بِمَا لَيْسَ بِجَسْمٍ.

وَقَوْلُكُمْ: الْأَجْسَامُ مُتَهَالِلَةٌ لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّهَا مُتَبَايِنَةٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومُ، وَعَلَى هَذَا يَمْتَنَعُ وَجُودُ النَّتِيْجَةِ، وَالنَّتِيْجَةُ التَّشِيْبِيَّةُ.

كُلُّ الْكَلَامِ الَّذِي سُقِيَ مِنْهُ عَلَى حُجَّةٍ وَهِيَ: أَنَّ إِثْبَاتَ الصَّفَاتِ مُسْتَلِزٌ لِلتَّجْسِيمِ؛ لِأَنَّ الصَّفَاتَ عَنْهُمْ لَا يَقُولُونَ إِلَّا بِجَسْمٍ، وَالْأَجْسَامُ مُتَهَالِلَةٌ.

[٢] الإِجَابَاتُ بَيْنَهُنَّ الْمُؤْلَفُ رَحْمَةُ اللَّهِ:

الْمُقْدَمَةُ الْأُولَى: إِثْبَاتُ الصَّفَاتِ مُسْتَلِزٌ لِلتَّشِيْبِ لِلتَّجْسِيمِ، وَمَنْعُهَا أَنْ نَقُولُ: إِثْبَاتُ الصَّفَاتِ لَا يَسْتَلِزُ التَّجْسِيمَ؛ لِأَنَّ الصَّفَاتَ قَدْ تَكُونُ بِمَا لَيْسَ بِجَسْمٍ، هَذَا بِمَنْعِ الْمُقْدَمَةِ الْأُولَى.

المقدمة الثانية: الأجسام متماثلة، فيقولون مثلاً كقول القاضي أبي يعلى: هب أنها تستلزم التشبّه لكن الأجسام غير متماثلة، هب أن إثبات الصفات يستلزم التشبّه، وأن الصفات لا تكون إلا بجسم، ولكننا نقول: نمنع المقدمة الثانية التي تقول: إن الأجسام متماثلة.

وتارةً بمنع المقدمتين جيئاً، وهذا الأخير هو الصحيح؛ يعني: نمنع المقدمتين جيئاً بالدليل والبرهان، المقدمتان: إثبات الصفات مستلزم للتجسيم، والأجسام متماثلة.

قوله: «وتارةً بالاستفصال»، فنقول مثلاً: ماذا تعني بالتماثل؟ إن أردت بالتماثل: التماطل في الحقيقة فهذا من نوع، وإن أردت بالتماثل: التماطل في أصل الشيء كأصل الوجود مثلاً، وأصل السمع، وأصل البصر، وأصل الكلام وما أشبه ذلك، فهذا جائز وليس فيه نقص.

نقول: ماذا تعني بقولك: الأجسام متماثلة؟ هل تقصد متماثلة في الجسمية؟ بمعنى: أن كلاً منها جسم قائم بنفسه؟

فهذا صحيح؛ لأنك عندما تقول مثلاً: هذا الكتاب جسم، وهذا المسجل جسم، وهذه الماصة جسم، وهذا الإنسان جسم، كلها متفقة متماثلة في الجسمية، فيكونها جسماً لكنها ليست متماثلة في الحقيقة، فنستحصل منه، فنقول: ماذا تعني بالتماثل؟ إن أردت كذا فحَقٌ ولا يلزمُه أي نقص، فإذا أراد أن الله تعالى ذات قائلة بنفسها، فليس في هذا مانع، لكن لو قال: إن الله ذات تشبّه ذاتاً غيره قلنا: قِفِ الآن هذا الممتنع.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ قَوْلَهُمْ بِتَمَاثِيلِ الْأَجْسَامِ قَوْلٌ بَاطِلٌ سَوَاءٌ فَسَرُوا الْجِسْمَ بِهَا يُشَارُ إِلَيْهِ، أَوْ بِالْقَائِمِ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِالْمَوْجُودِ<sup>[١]</sup>، أَوْ بِالْمُرْكَبِ مِنَ الْهَيْوَى وَالصُّورَةِ<sup>[٢]</sup>، وَتَحْوِي ذَلِكَ.

[١] هم مختلفون في تفسير الجسم؛ فمنهم من يقول: إن الجسم ما يُشار إليه، كُلُّ ما يمكن الإشارة إليه فهو جسم.

ومنهم من يقول: إن الجسم هو القائم بنفسه، فأما الذي يكون صفةً في غيره فليس بجسم كالطول والقصر والقيام والقعود والبياض والسودان والحمراة؛ لأنها لا تكون قائمةً بنفسها، إنما هي قائمةً بغيرها، أو بال موجود، وهذا ما عرفت أن أحداً يقول إن الجسم هو الم موجود، كل موجود فهو جسم لا أدرى عنه.

على كُلِّ حالِ الَّذِي يُفَهَّمُ مِنْ كلامِ شِيخِ الْإِسْلَامِ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ فَسَرَ الْجِسْمَ بِالْمَوْجُودِ، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ مَا لَمْ يُصْوَرْ، إِذَا قُلْنَا: كُلُّ مَوْجُودٍ هُوَ جَسْمٌ. لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ وَيُسَمَّى جَسْمًا عَلَى هَذَا الْحَالِ حَتَّى الصِّفَاتُ تُسَمَّى جَسْمًا؛ لَأَنَّهَا قَدْ تَكُونُ مَوْجُودَةً وَقَدْ تَكُونُ مَعْدُومَةً.

[٢] قوله: «أَوْ بِالْمُرْكَبِ مِنَ الْهَيْوَى وَالصُّورَةِ» الهيولي: اسم للشيء للحقيقة التي عليها الشيء، مثلاً الإنسان هيولي وصورة؛ يعني: جسم غير مصور وصورة أيضاً (فالهيولي) اسم للشيء، والصورة اسم لصفته فيقولون: ما ترَكَبَ من شيء وصفة فهو جسم، وما ليس كذلك فليس بجسم منها فسر الجسم بهذه التفاسير التي ذكر المؤلف الأربعة: «بِهَا يُشَارُ إِلَيْهِ، أَوْ بِالْقَائِمِ بِنَفْسِهِ، أَوْ بِالْمَوْجُودِ، أَوْ بِالْمُرْكَبِ مِنَ الْهَيْوَى». هذه التفاسير منها قيل إنها هي الجسم فإنه لا يمكن أن تكون متماثلةً.

فَأَمَّا إِذَا فَسَرُوهُ بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُفَرَّدَةِ وَعَلَى أَنَّهَا مُتَهَابَلَةٌ، فَهَذَا يُبَيِّنُ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ، وَعَلَى إِثْبَاتِ الْجَوَاهِرِ الْفَرِدِ، وَعَلَى أَنَّهُ مُتَهَابِلٌ، وَجُمِهُورُ الْعُقَلَاءِ يُخَالِفُونَهُمْ فِي ذَلِكَ [١] .

[١] أقول: يقول المؤلف -رحمه الله تعالى- إذا فسر الجسم بأنه مركب من الجوaher المفردة، وأن هذه الجوaher متهابلة فهذا يبني على صحة ذلك، وعلى إثبات الجوaher الفرد، وعلى أنه متهابل، صحة تفسير الجسم بالمركب من الجوaher المفردة؛ لأن عندنا ثلاثة أمور الآن:

الأول: تفسير الجسم بالمركب من الجوaher المفردة.

والثاني: إثبات هذه الجوaher.

والثالث: أنها متهابلة، يقول: وعلى إثبات الجوaher الفرد وعلى أنه متهابل وجمهور العقلاء يخالفونهم في ذلك؛ لأن الجوaher الفرد عندهم ما لا يمكن أن يتجزأ، كل شيء لا يمكن يتجزأ يسمونه جوهراً فرداً، وهذا يسمونه بالفرد، والجوaher ضد العرض، والعرض هي الصفة، وفرد يعني: لا يتجزأ ما يكون لها أجزاء، والجوaher الفرد يقولون إنه يمكن وجوده، وجمهور العقلاء - كما قال شيخ الإسلام - ينكرون وجوده؛ لأن الذين يقولون بوجوده، يقولون: إن رأس الإبرة جوهراً فرداً؛ لأن لا يمكن أن يتجزأ، ولكن جمهور العقلاء - كما قال شيخ الإسلام - يقول: أبداً ما من شيء له جسم إلا ويمكن أن يتجزأ إلى أن يتنهى إلى أن لا يكون شيئاً، فما من شيء إلا يمكن أن يتجزأ، والآن في عالم الذرة تبين الآن أن ما من شيء له حجمٌ ومهمها كان صغيراً إلا ويمكن أن يتجزأ وعلى هذا فالجوaher الفرد غير موجودة.

والمقصود هنا أنهم يُطلقون التشبيه على ما يعتقدونه تجسيماً بناءً على تماثل الأَجسَامِ، والمشتتون يُنَازِّعُونَهُم في اعتقادِهِم<sup>[١]</sup>؛ كإطلاق الرافضة التصب على من تولى أبا بكر وعمر رضي الله عنهم، بناءً على أنَّ مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا رضي الله عنه، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَهُوَ ناصِبٌ<sup>[٢]</sup>.

**والخلاصة:** أن هذا الكلام المقصود به شيءٌ واحدٌ وهو: بُطْلَانُ كون الأَجسَامِ متماثلةً، وهذه التفسيرات التي ذكرها المؤلف رحمه الله يقول: بعضها لا يمكن أن يوافقوا عليها مثل أن يفسروا الجسم بأنه مُرَكَّبٌ من الجواهير المفردة، فيقال: إنه لا حقيقة للجوهر الفرد أبداً ولا يمكن وجوده.

[١] وهذه طبعاً دعوى، فالمؤلف يقول: إنهم يُطلقون التشبيه على ما يعتقدونه تجسيماً بناءً على تماثل الأَجسَامِ، وقد مر علينا أن هذا ليس بصحيح، وأن إثبات الصفات ليس تجسيماً، وأنه على فرض أن يكون دالاً على الجسم فإن الأَجسَام غير متماثلة.

[٢] شبه المؤلف -رحمه الله تعالى- هؤلاء بالرافضة الذين يقولون: كل من أحب أبا بكر وعمر فإنه ناصبي، والناصبي: من نصب العداوة لعلي بن أبي طالب، لماذا؟ يقول: لا يمكن أن تحب أبا بكر وعمر وتحب علياً أبداً، ولذلك الرافضة يبغضون أبا بكر وعمر، وربما يلغونهما ويسمونهما صنمياً قريش، أو أن أحد هما الطاغوت، والثاني الحبُّ والعياذ بالله، يقول: اللهم العن طاغوت قريش وحيثهما وصَنَمَيهما.

كل هذا دليل على خبيث الرافضة، وأنهم من أجهل الناس بالأمور.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُنَازِّعُونَهُمْ فِي الْمُقْدَمَةِ الْأُولَى؛ وَهُذَا يَقُولُ هُؤُلَاءِ: إِنَّ الشَّيْئَيْنِ لَا يَشْتَبِهانِ مِنْ وَجْهٍ وَيَخْتَلِفَانِ مِنْ وَجْهٍ، وَأَكْثَرُ الْعُقَلَاءِ عَلَى خَلَافِ ذَلِكَ [١].

وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَبَيْنَا فِيهِ حُجَّاجَ مَنْ يَقُولُ بِتَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ وَحُجَّاجَ مَنْ نَفَى ذَلِكَ، وَبَيْنَا فَسَادَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ بِتَمَاثُلِهَا، وَأَيْضًا فَالإِعْتِيَادُ بِهَذَا الطَّرِيقِ عَلَى نَفْيِ التَّشْبِيهِ اعْتِيَادٌ بَاطِلٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَثَبَتَ تَمَاثُلَ الْأَجْسَامِ فَهُمْ لَا يَنْفُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحُجَّةِ الَّتِي يَنْفُونَ بِهَا الْجِسمَ [٢].

[١] النُّفَاهُ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ إِذَا اشْتَبَهَ فِي شَيْءٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ التَّشَابُهُ مُطْلَقاً، وَأَكْثَرُ الْعُقَلَاءِ عَلَى خَلَافِ ذَلِكَ.

[٢] وَهُمْ لَيْسُ عِنْدَهُمْ حُجَّةٌ عَلَى نَفْيِ الْجِسمِ؛ لَأَنَّا لَوْ قُلْنَا بِأَنِ إِثْبَاتَ الصَّفَاتِ يَسْتَلِزُمُ التَّجْسِيمَ فَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْنَا لِلَّذِي يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ أَوْ لَيْسَ بِجِسْمٍ؛ مَاذَا تَعْنِي بِكَلْمَةِ الْجِسمِ؟

إِنْ أَرَدْتَ مَعْنَى صَحِيحًا يَلِيقُ بِاللهِ فَهَذَا حَقٌّ، وَإِنْ أَرَدْتَ مَعْنَى بَاطِلًا فَهَذَا بَاطِلٌ، لَوْ قَالَ: أَرَدْتُ بِالْجِسْمِ مَا يَقُولُ بِنَفْسِهِ وَيَتَصِفُ بِالصَّفَاتِ الْلَّائِقَةُ بِهِ قَلْنَا: هَذَا بَاطِلٌ، هُوَ اللَّهُ.

وَإِذَا قَالَ: أَرَدْتُ بِالْجِسْمِ مَا يَكُونُ مَكْوُنًا مُرَكَّبًا مِنْ دَمٍ وَعَظِيمٍ وَلَخِيمٍ إِلَى آخرِهِ، قَلْنَا: هَذَا بَاطِلٌ.

يَقُولُ: وَإِذَا ثَبَتَ أَنْ هَذَا يَسْتَلِزُمُ الْجِسْمَ، وَثَبَتَ امْتِنَاعُ الْجِسْمِ، كَانَ هَذَا وَحْدُهُ كَافِيًّا فِي نَفْيِ ذَلِكَ، إِذَا ثَبَتَ أَنْ هَذَا يَسْتَلِزُمُ الْجِسْمَ بِنَاءً عَلَى الْمُنْكَرِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنِ إِثْبَاتَ الصَّفَاتِ يَسْتَلِزُمُ الْجِسْمَ، وَالْجِسْمُ مُتَمَاثِلٌ.

وإذا ثبت أن هذا يستلزم الجسم، وثبت امتناع الجسم كان هذا وحده كافياً في نفي ذلك، لا يحتاج نفي ذلك إلى نفي مسمى التشبيه، لكن نفي التجسيم يكون مبنياً على نفي هذا التشبيه<sup>[١]</sup> لأن يقال: لو ثبت له كذا وكذا لكان جسماً، ثم يقال: والأجسام متماثلة فيجب اشتراكها فيما يحب ويحوز ويمتنع<sup>[٢]</sup>، وهذا ممتنع عليه<sup>[٣]</sup>.

[١] كلام المؤلف رحمة الله في الحقيقة فيه صعوبة من حيث التصور، لكن من حيث المعنى العام واضح، نقول مثلاً: لنفرض أن الكلام في الرحمة، لو ثبت أن الله يرحم، أو في الاستواء على العرش لو ثبت أن الله استوى على العرش لكان جسماً والأجسام متماثلة، يقول هذا المنكر للصفة: لو ثبت أن الله مستوى على العرش لزم أن يكون جسماً، وبعد ذلك يقول: الأجسام متماثلة، وإذا كانت متماثلة وجوب اشتراكها فيما يحب ويحوز ويمتنع، إذا ثبت أنها متماثلة وجوب أن يشارك الخالق والمخلوق فيها يحب ويحوز ويمتنع.

[٢] قوله: «لو ثبت له كذا وكذا»، هذا المهم فسرناه بالاستواء على العرش، لو ثبت أن الله مستوى على العرش «لكان جسماً، ثم يقال: والأجسام متماثلة فيجب اشتراكها» اشتراكها يعني: اشتراك الأجسام «فيما يحب ويحوز ويمتنع»، وعلى هذا ما يحب للإنسان يحب الله، وما يحوز على الإنسان يحوز على الله، وما يمتنع على الإنسان يمتنع على الله، فهل هذا ممكن؟!

[٣] وهذا قال: «وهذا ممتنع عليه» ممتنع على الله، إذا كان ممتنعاً على الله لزم أن يكون الاستواء ممتنعاً؛ لأنّه يؤدي إلى ممتنع، وما أدى إلى ممتنع فهو ممتنع، وكل الكلام في الحقيقة فيه تكرار كثير، لكن بعبارات مختلفة، وقد سبق أننا ترجع إلى أصل القاعدة، وشيخ الإسلام ابن تيمية ليس مثل المؤلفين الآن الذي ينطلقون الكلام ويترددون عليه

وإِذَا ثَبَّتَ أَنَّ هَذَا يَسْتَلِزُمُ الْجِسْمَ، وَثَبَّتَ امْتِنَاعُ الْجِسْمِ كَانَ هَذَا وَحْدَهُ كَافِيًّا فِي نَفْيِ ذَلِكَ.

لَكِنَّ نَفْيَ التَّجْسِيمِ يَكُونُ مَبْنِيًّا عَلَى نَفْيِ هَذَا التَّشْبِيهِ بِأَنْ يُقَالُ: لَوْ ثَبَّتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ جِسْمًا، ثُمَّ يُقَالُ: وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فَيَجِبُ اسْتِرَاكُهَا فِيمَا يُحِبُّ، وَيَجُوزُ وَيَمْتَنَعُ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ<sup>[١]</sup>.

لَكِنْ حِينَئِذٍ يَكُونُ مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ مُعْتَمِدًا فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ؛ فَيَكُونُ أَصْلُ نَفْيِهِ نَفْيُ الْجِسْمِ، وَهَذَا مَسْلَكٌ آخَرُ سَتَّكَلَمُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>[٢]</sup>.

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مُجَرَّدَ الْإِعْتِمَادِ فِي نَفْيِ مَا يُنْفَى عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يُفِيدُ، إِذْ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَشْتَهَانِ مِنْ وَجْهٍ وَيَقْرَأُنِ مِنْ وَجْهٍ، بِخَلَافِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى نَفْيِ النَّقْصِ وَالْعَيْنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ - سُبْحَانَهُ - مُقَدَّسٌ عَنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ طَرِيقَةٌ صَحِيحةٌ<sup>[٣]</sup>.

مَرَّاتٍ كثيرة، بل يكتب الكلام ويتهيي منه، وهو بحْرٌ يتلاطمُ تَجْدُدُ المعاني تُسِيقُ الكتابة.

[١] لو ثَبَّتَ كَذَا لَكَانَ جِسْمًا، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، مِنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ مُعْتَمِدًا فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ عَلَى نَفْيِ التَّجْسِيمِ، وَهُوَ يَقُولُ: كُلُّ مَا أَدَى إِلَى ثُبُوتِ الْجِسْمِيَّةِ فَإِنَّهُ مُؤَدٌّ إِلَى التَّشْبِيهِ، وَحِينَئِذٍ أَنْكَرَ كُلُّمَا رأَى أَنَّهُ يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ.

[٢] نَقُولُ: مُجَرَّدُ الْإِعْتِمَادِ فِي نَفْيِ مَا يُنْفَى عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ لَا يُفِيدُ، وَمَعْنَى ذَلِكَ لَوْ قُلْتَ: أَنَا أَنْفَيْ عَنِ اللَّهِ كُلَّ مَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ، هَلْ يَكْفِي الْإِعْتِمَادُ عَلَى هَذَا؟

[٣] الْمُؤْلِفُ رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُولُ: مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَشْتَهَانِ مِنْ وَجْهٍ وَيَخْتَلِفَانِ مِنْ وَجْهٍ؛

وَكَذِلِكَ إِذَا أَثْبَتَ لَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنَفَى مُمَاثَلَةً غَيْرِهِ لَهُ فِيهَا، فَإِنَّ هَذَا نَفْيُ الْمُمَاثَلَةِ فِيهَا هُوَ مُسْتَحِقٌ لَهُ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَنْ لَا يَشْرُكُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِيهَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَكُلُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ مُتَصِّفٌ بِهَا عَلَى وَجْهٍ لَا يُمَاثِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَهِذَا كَانَ مَذَهِبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئْمَاتِهَا: إِثْبَاتُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَنَفْيُ مُمَاثَلَتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ<sup>[١]</sup>.

الآن مثلاً نجدُ أنَّ الْخَالِقَ سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ وَالْإِنْسَانَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَنَجِدُ أَنَّ اللَّهَ حَيٌّ وَالْإِنْسَانُ حَيٌّ، فَهُلْ يَلْزُمُ مِنَ الْأَشْتِيَاءِ فِي الاسمِ الْاِشْتِراكَ فِي الْمَسْمَىِ؟

الجواب: لا يَلْزُمُ أَيْضًا، لَكِنْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ نَعْتَمِدُ؟ نَعْتَمِدُ عَلَى الْمَشَابِهَةِ الَّتِي تَقْتَضِي النَّفْقَصَ وَالْعِيبَ، أَمَّا الْمَشَابِهَةُ الَّتِي لَا تَقْتَضِيَهُ مِثْلُ أَنْ يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَكِنَّ حَيَاةً لَا يُشَبِّهُ الْمَخْلُوقَيْنَ، سَمِيعٌ لَكِنَّ لَا يُشَبِّهُ سَمْعَ الْمَخْلُوقَيْنَ، وَهَكُذا فَلَا بِأَسَى بِذَلِكَ، وَكَذِلِكَ إِذَا أَثْبَتَ لَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنَفَى مُمَاثَلَةً غَيْرِهِ لَهُ فِيهَا.

[١] سبق لنا أنَّ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَكُونُ كَمَالًا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ وَنَقْصًا فِي حَقِّ الْخَالِقِ، وَمَا يَكُونُ نَقْصًا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ وَكَمَالًا فِي حَقِّ الْخَالِقِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَالِقَ لَا يُشَبِّهُ الْمَخْلُوقَ؛ فَالنَّوْمُ وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالنَّكَاحُ بِالنِّسَبَةِ لِلْمَخْلُوقِ كَمَالٌ؛ لِأَنَّ الَّذِي لَا يَنْامُ مَرِيضٌ فِيهِ عَيْبٌ، وَالَّذِي لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرُبُ وَلَا يَتَزَوَّجُ كَذَلِكَ فِيهِ عَيْبٌ، وَبِالنِّسَبَةِ لِلْخَالِقِ نَقْصٌ.

وَالتَّكَبُّرُ وَالْعَظَمَةُ بِالنِّسَبَةِ لِلْخَالِقِ صَفَةُ كَمَالٍ وَبِالنِّسَبَةِ لِلْمَخْلُوقِ صَفَةُ نَقْصٍ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ كَمَالًا فِيهِمْ فِي الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ، لَكِنَّ لِلْخَالِقِ مَا هُوَ أَكْمَلُ مِثْلُ: السَّمْعُ وَالبَصَرُ وَالْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ وَمَا أَشْبَهُهَا، وَنَقْصًا فِي الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَلَكِنَّ الْخَالِقَ أَشَدَّ

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الشَّيْءَ إِذَا شَابَهَ غَيْرَهُ مِنْ وَجْهِهِ جَازَ عَلَيْهِ مَا يَحْبُزُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ، وَوَجَبَ لَهُ مَا وَجَبَ لَهُ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ مَا امْتَنَعَ عَلَيْهِ<sup>[١]</sup>.  
 قِيلَ: هَبْ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقُدْرُ الْمُشَرَّكُ لَا يَسْتَلِزُمْ إِثْبَاتَ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ -، وَلَا نَفْيُ مَا يَسْتَحْقُهُ لَمْ يَكُنْ مُمْتَنِعًا<sup>[٢]</sup>.

تنزُّها عنه، مثل: العَجْزِ والصَّمَمِ والبَكَمِ والرَّضِيِّ وما أشْبَهُ ذَلِكَ، هذا عَيْبٌ في الْخَالِقِ والمَخْلُوقِ لكن تَنْزُّهُ الْخَالِقِ عنِّهِ أَعْظَمُ؛ لَأَنَّهُ واجبٌ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِّهِ بِخَلْفِ الْمَخْلُوقِ.

[١] الشَّيْءُ إِذَا شَابَهَ غَيْرَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَإِنَّهُ يَحْبُزُ عَلَى هَذَا الْمَشَابِهِ مَا يَحْبُزُ عَلَى الْمَشَابِهِ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، وَيَجِبُ لَهُ مَا يَجِبُ لَهُ، هَذَا إِذَا شَابَهَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ والمَخْلُوقِ مُمْتَنِعٌ.

وَإِذَا شَابَهَ غَيْرَهُ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ والمَخْلُوقِ مُمْكِنٌ أَنْ يَشَابِهَ فِي أَصْلِ وَجْدِ الْحَيَاةِ، وَلَكِنْ لَا يَشَابِهَ فِي حَقِيقَتِهَا، يَشَابِهُ فِي أَصْلِ وَجْدِ الْقُدرَةِ وَلَكِنْ لَا يَشَابِهُ فِي حَقِيقَتِهَا، وَهَكَذَا.

أَفَلا يَحْبُزُ أَنْ نَقُولُ: إِذَا كَانَ يُشَبِّهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، يَحْبُزُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مَا يَحْبُزُ عَلَى الْخَالِقِ وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْخَالِقِ؟ وَيَجِبُ لَهُ مَا يَجِبُ عَلَى الْخَالِقِ؟ هَذَا السُّؤَالُ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْمُؤْلَفُ وَسَيُجِيبُ.

[٢] يَقُولُ: قَدْرُ لَنَا مِثْلًا إِذَا شَابَهَ الْمَخْلُوقُ لَنَا الْخَالِقَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ جَازَ لِلْخَالِقِ مَا يَحْبُزُ لِلْمَخْلُوقِ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَوَجَبَ لَهُ مَا يَجِبُ لِلْمَخْلُوقِ، هَبْ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ.

وَكَلْمَةُ «هَبْ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ» تَدْلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ، لَكِنْ عَلَى سَبِيلِ التَّنْزِيلِ،

اشترك الحالق والمخلوق في أصل السمع والبصر، واحتلما في حقيقتهما هل نقول: إن هذا الأصل لما تشاركا فيه يجب للمخلوق ما يجب للحالق؟

الجواب: لا؛ لأن المخلوق يجوز أن يُعدم هذا الأصل، أو يجوز أن يكون غير بصير وغير سميع، والحالق يمتنع عليه ذلك، الحالق يجب أن يكون سمعياً بصيراً، والمخلوق لا يجب أن يكون سمعياً بصيراً، إنما سمعه وبصره من باب الجواز الذي يمكن وجوده ويمكن عدمه.

فتبين الآن أننا إذا قلنا: إنه يُشِّيهُ هذا من وجہ لا يلزم أن يتَّفقَا في هذا الوجه في الوجوب والجواز والامتناع، وبيننا وجہ عدم اللزوم، لكن إذا قدرنا هب أنه يلزم فما هو الجواب؟

قوله: «وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ الْمُشَرَّكُ لَا يَسْتَلِزُمُ إِثْبَاتَ مَا يَمْتَنَعُ عَلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ -، وَلَا نَفِيٌّ مَا يَسْتَحِقُهُ لَمْ يَكُنْ مُمْتَنِعًا».

يقول: هب أنه يجب ويجوز ويتَّفق، لكن إذا كان هذا القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما يتَّفق على ربّه، سمع الله، سمع للإنسان اشتراكا في أصل السمع، إذا قلت: إن هذا الاشتراك يلزم منه إثبات ما يتَّفق على ربّ وهو إمكان عدم السمع مثلاً هل هو ممكن بالنسبة للحالق؟

الجواب: لا، فإذا قلت إنها اشتراكا في أصل السمع، ولكن لا يجوز بالنسبة لله أن يفرد هذا السمع قلنا: ما المضرّة؟ هل في هذا مضرّة إذا اشتراكا في هذا القدر؟! الحقيقة أنه ليس هناك مضرّة من ذلك.

كما إذا قيل: إنَّه مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلَيْمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَقَدْ سُمِّيَ بَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ حَيًّا سَمِعِيًّا عَلَيْهَا بَصِيرًا، فَإِذَا قِيلَ: يَلْزَمُ أَنَّه يَجِدُ عَلَيْهِ مَا يَجِدُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِيهِ مَوْجُودًا حَيًّا عَلَيْهَا سَمِعِيًّا بَصِيرًا، قِيلَ: لَازِمٌ هَذَا الْقَدْرُ الْمُشَرَّكُ لَيْسَ مُمْتَنِعًا عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي حُدُوثًا وَلَا إِمْكَانًا وَلَا نَفْصَا وَلَا شَيْئًا إِمَّا بِتَنَافِي صِفَاتِ الرِّبُوبِيَّةِ<sup>[١]</sup>.

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشَرَّكَ هُوَ مُسَمَّى الْوُجُودِ أَوِ الْمَوْجُودِ، أَوِ الْحَيَاةِ أَوِ الْحَيَّ، أَوِ الْعِلْمِ أَوِ الْعَلِيمِ، أَوِ السَّمْعِ أَوِ الْبَصَرِ، أَوِ السَّمِيعِ أَوِ الْبَصِيرِ، أَوِ الْقُدْرَةِ أَوِ الْقَدِيرِ<sup>[٢]</sup>.

[١] الْقَدْرُ الْمُشَرَّكُ إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ نَفْصَا مِنْ جَانِبِ الْخَالِقِ فَإِنَّه لَيْسَ بِالْمُمْتَنِعِ؛ يعني: اشتراكُ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي أَصْلِ الصَّفَةِ إِذَا لَمْ يَتَضَمَّنْ نَفْصَا فَإِنَّه لَيْسَ بِمُمْتَنِعٍ، مَثَلُ ذَلِكَ يَقُولُ: وَذَلِكَ أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشَرَّكَ هُوَ مُسَمَّى الْوُجُودِ أَوِ الْمَوْجُودِ، الْوُجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلصَّفَةِ وَالْمَوْجُودُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَوْصُوفِ.

فمثلاً: وَجُودُ الْخَالِقِ وَوَجُودُ الْمَخْلُوقِ يَشْتَرِكُانِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى، وَهُلْ هَذَا مُمْتَنِعٌ إِذَا اشْتَرَكَا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى وَقُلْنَا: إِنَّ وَجُودَ الْخَالِقِ يَخْتَصُّ بِهِ وَوَجُودُ الْمَخْلُوقِ يَخْتَصُّ بِهِ؟

لَا يَلْزَمُ ذَلِكَ، كَذَلِكَ أَيْضًا الْمَوْجُودُ، يَشْتَرِكُ الْمَوْجُودُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، كَلَاهُما مَوْجُودٌ، وَاشْتَرَاكُهُمَا فِي هَذَا غَيْرُ مُمْتَنِعٍ وَإِنْ تَشَابَهَا فِي هَذَا الْأَصْلِ بِأَنَّ هَذَا مَوْجُودٌ وَهَذَا مَوْجُودٌ، لَكِنْ وَجُودُ هَذَا يَخْصُّهُ وَوَجُودُ هَذَا يَخْصُهُ.

[٢] الْمُؤْلِفُ رَحْمَةُ اللَّهِ ذَكَرَ الصَّفَةَ وَالْمَوْصُوفَ.

وَالْقُدْرُ الْمُشَرِّكُ مُطْلَقٌ كُلِّيًّا لَا يَخْتَصُ بِأَحَدٍ هُمَا دُونَ الْآخِرِ، فَلَمْ يَقُعْ بَيْنَهُمَا اشْتِراكٌ لَا فِيهَا يَخْتَصُ بِالْمُمْكِنِ الْمُحْدَثِ<sup>[١]</sup>، وَلَا فِيهَا يَخْتَصُ بِالْوَاجِبِ الْقَدِيمِ.  
فَإِنَّ مَا يَخْتَصُ بِهِ أَحَدُهُمَا يَمْتَنِعُ اشْتِراكُهُمَا فِيهِ<sup>[٢]</sup>.

فَإِذَا كَانَ الْقُدْرُ الْمُشَرِّكُ الَّذِي اشْتَرَكَ فِيهِ صِفَةً كَمَالًا، كَالْوُجُودُ وَالْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ إِمَّا يَدْلُلُ عَلَى خَصَائِصِ الْمَخْلُوقَيْنَ، كَمَا لَا يَدْلُلُ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ خَصَائِصِ الْخَالِقِ لَمْ يَكُنْ فِي إِثْبَاتِ هَذَا مَحْدُورٌ أَضْلاً؛ بَلْ إِثْبَاتُ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْوُجُودِ، فَكُلُّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ بَيْنَهُمَا مَنْ مِثْلُ هَذَا، وَمَنْ نَفَى هَذَا لِزَمَهُ تَعْطِيلٌ وَجُودٌ كُلُّ مَوْجُودٍ<sup>[٣]</sup>.

[١] المُمْكِنُ الْمُحْدَثُ يَعْنِي: بِهِ الْمَخْلُوقُ، وَالْوَاجِبُ الْقَدِيمُ، يَعْنِي: بِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٢] مثلاً الاشتراكُ من وجْهِ دُونَ وجْهٍ، هل يلزمُ الاشتراكُ من وجْهِ دُونَ وجْهٍ أن يكونَ الْخَالِقُ مُشَابِهًا لِلْمَخْلُوقِ فِي الْوِجْهِ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ؟

المُؤْلِفُ رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُولُ: لَا يَلْزَمُ، وَمِثَالُ ذَلِكَ كُلُّمَةُ الْحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ صِفَاتُ الْخَالِقِ وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِ، تَشْتَرِكُ هَذِهِ فِي الْقُدْرِ الْمُشَرِّكِ، الْقُدْرُ الْمُشَرِّكُ لَا يَخْتَصُ بِهِ الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقٌ إِنَّمَا هُوَ مُشَرِّكٌ، فَالْحَيَاةُ الَّذِي وُجِدَ أَصْلُهَا بَيْنَ هَذَا وَهَذَا لَمْ تَفْهَمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ، لَكِنْ هُلْ يَلْزَمُ مِنْ اشْتِراكِهِمَا فِي هَذَا الْأَصْلِ أَنْ يَتَشَابَهَا؟ لَا يَلْزَمُ؛ لِأَنَّ حَيَاةَ هَذَا تُخُصُّهُ وَحْيَاةَ هَذَا تُخُصُّهُ، وَلَا يَجُوزُ لَحَيَاةِ الْمَخْلُوقِ مَا يَجُوزُ لَحَيَاةِ اللَّهِ أَوْ يَجِبُ أَوْ يَمْتَنِعُ.

[٣] إِذَا كَانَ الْقُدْرُ الْمُشَرِّكُ الَّذِي اشْتَرَكَ فِيهِ صِفَةً كَمَالٍ مِثْلَ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالْكَلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكِ، وَكُلُّ هَذِهِ صِفَاتُ كَمَالٍ، اشْتِراكُ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ

وَهِذَا لَمَّا اطْلَعَ الْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّ هَذَا حَقِيقَةً قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ سَمُوهُمْ مُعَطَّلَةً، وَكَانَ جَهَنَّمُ يُنْكِرُ أَنْ يُسَمِّي اللَّهُ شَيْئًا، وَرَبِّيَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: هُوَ شَيْءٌ لَا كَأَلْشَيْءِ، فَإِذَا نَفَى الْقَدْرُ الْمُشَرِّكُ مُطْلِقًا لَزِيمَ التَّعْطِيلِ الْعَامِ.

وَالْمَعَانِي الَّتِي يُوصَفُ بِهَا الرَّبُّ تَعَالَى كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ بِلِ الْوُجُودِ وَالثُّبُوتِ وَالْحَقِيقَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ تَجِبُ لَوَازِمُهَا، فَإِنَّ ثُبُوتَ الْمَلْزُومِ يَقْتَضِي ثُبُوتَ الْلَّازِمِ، وَخَصَائِصُ الْمَخْلُوقِ الَّتِي يَجِبُ تَنْزِيهُ الرَّبُّ عَنْهَا لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ أَصْلًا<sup>[١]</sup>.

فيها في الْقَدْرِ الْمُشَرِّكِ الَّذِي هو أَصْلُ الصَّفَةِ هل هذا تشبيه؟

الجواب: لا، لماذا ليس بتتشبيه؟ لأنَّ لـكُلَّ واحدٍ منها ما يُخُصُّهُ من هذه الصَّفة؛ ولأننا لو لم نُقُلْ بـوجودِ أصلِ الاشتراكِ في هذه الصَّفة لـيُلزمَ أن نُعَطِّل وجودَها؛ إذا قلنا مثلاً: ليس لله حَيَاةٌ؛ لأنَّهُ الله حَيَاةٌ وللإنسان حَيَاةٌ معناه تشابهها، إذا نَفَيتِ الحَيَاةَ لـه وَقَعَتِ في التَّعْطِيلِ.

إذن: لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ الحَيَاةِ، وَكُونِ الْمَخْلُوقِ لـه حَيَاةً وَالْخَالِقِ لـه حَيَاةً لـا يَلْزُمُ مِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهَ، مثل إِذَا قلنا: للإِنْسَانِ جَسْمٌ وَلِلْجَبَلِ جَسْمٌ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ تَشْبِيهًا. فِيَابِاتُ الْقَدْرِ الْمُشَرِّكِ بَيْنَ حَيَاةِ الْمَخْلُوقِ وَحَيَاةِ الْخَالِقِ، وَسَمْعُ الْمَخْلُوقِ وَسَمْعُ الْخَالِقِ، إِلَى آخِرِهِ، هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْوُجُودِ، إِذْ لَوْ نَفَيْتُهُ نَفَيْتُ وَجْهَ الصَّفَةِ، لَوْ نَفَيْتُ الْحَيَّ وَقُلْتَ: لَا يَمْكُنُ أَنْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَيُّ لَأَنَّ الْمَخْلُوقَ يُسَمِّي الْحَيَّ، فَبِذَلِكَ تَكُونُ قَدْ نَفَيْتُ وَجْهَ الحَيَاةِ.

[١] تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي مَعَ اخْتِلَافِ الْعِبَارَةِ؛ الْمَعَانِي الَّتِي يُوصَفُ بِهَا الرَّبُّ كَالْحَيَاةِ

بِلْ تِلْكَ مِنْ لَوَازِمٍ مَا يَخْتَصُ بِالْمَخْلُوقِ مِنْ وُجُودٍ وَحَيَاةٍ وَعِلْمٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ،  
وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ - مُنْزَهٌ عَنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقَيْنَ وَمَلْزُومَاتِ خَصَائِصِهِمْ [١].

وَهَذَا الْمَوْضِعُ مَنْ فَهِمَهُ فَهُمَا جَيِّدًا وَتَدَبَّرَهُ زَالَتْ عَنْهُ عَامَّةُ الشُّبُهَاتِ،  
وَانْكَشَفَ لَهُ غَلَطُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَذْكِيَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي مَوَاضِعَ  
كَثِيرَةٍ وَبَيْنَ فِيهَا أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشَرَّكُ الْكُلُّ لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ إِلَّا مُعِينًا مُقَيَّدًا [٢].

تَسْتَلزمُ وِجْدَهُ هَذِهِ الْأَشْيَايِنَ إِلَّا لِكَانَ تَغْطِيلًا مُخْضًا، إِنَّا خَصَائِصَ الْمَخْلُوقِ الَّتِي يَجِبُ  
تَنْزِيهُ الرَّبُّ عَنْهَا لَيْسَ مِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ أَصْلًا، فَإِذَا قِيلَ مَثَلًا: حَيَاةُ الْمَخْلُوقِ مُسْبُوقةٌ  
بَعْدِ مَلْحُوقَةٍ بِمَوْتٍ، هَلْ هَذِهِ الْخَصَائِصُ فِي حَيَاةِ الْمَخْلُوقِ تَلْحُقُ حَيَاةَ الْخَالِقِ؟

الجواب: لَا؛ لَأَنَّ حَيَاةَ الْخَالِقِ تَخْصُّهُنَّ وَحَيَاةَ الْمَخْلُوقِ تَخْصُّهُ.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِ شَءْ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، فَسَمِّيَ اللَّهُ نَفْسَهُ شَيْئًا.  
أَيْ شَيْءٍ، هَذِهِ اسْتِفْهَامٌ عَنِ الْأَشْيَايِنَ أَيْ شَيْءٌ أَكْبَرُ؟ إِذْنَ فَهُوَ شَيْءٌ، وَإِلَّا مَا صَحَّ  
أَنْ يُخْبَرَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿أَئِ شَءْ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ﴾ أَيْ: أَكْبَرُ شَهادَةُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ شَهادَةً، ثُمَّ قَالَ:  
﴿شَهِيدٌ بَيْنَ وَبَيْنَكُمْ﴾ يَعْنِي: هُوَ شَهِيدٌ بَيْنَنِي وَبَيْنَكُمْ؛ لَأَنَّهُ لَوْ قَالَ: قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ لَمْ يَصْحَّ أَنْ  
يَكُونَ جَوَابًا لِقَوْلِهِ: ﴿أَئِ شَءْ﴾ أَكْبَرُ شَهادَةً؟

[١] هَذِهِ مَوَاضِيعُ جُزِئِيَّةٌ يَذْكُرُهَا الْمُؤْلَفُ اسْتِطْرَادًا، وَلَيْسَ هِيَ الْمُقصُودَ، لَكِنَّ  
الْمُقصُودُ الْقَاعِدَةُ الْأَسَاسِيَّةُ وَالَّتِي طَالَ الْكَلَامُ فِيهَا؛ وَهِيَ أَنَّا نَقُولُ: الْاعْتِمَادُ عَلَى مُجَرَّدِ  
الْإِثْبَاتِ بِدُونِ تَشْبِيهٍ لَا يَصْحُّ، وَالْاعْتِمَادُ عَلَى مُجَرَّدِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ أَيْضًا غَيْرُ صَحِيحٍ.

[٢] هَذَا تَقْدِيمُ الْكَلَامِ عَلَيْهِ؛ أَنَّ الْمُشَرَّكَ الْكُلُّ لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا يُوجَدُ  
فِي الْذَّهَنِ مَثَلًا: نَحْنُ الْآنُ أَحْيَايُ، يَتَصَوَّرُ الْإِنْسَانُ أَنْ هُنَاكَ حَيَاةٌ شَامِلَةٌ تَجْمَعُنَا جَمِيعًا،